

دور النظام العربي في تمكين الصهيونية !



الاثنين 4 أغسطس 2014 12:08 م

بقلم: شعبان عبدالرحمن

السيناريو واضح هذه المرة... فهناك إشارات من أكثر من اتجاه وبكل ألوان الطيف تتجمع في بؤرة واحدة لتوصيل رسالة تدمغ كل من يعادي الكيان الصهيوني بالإرهاب وتجعل منه هدفا للتصفية والإبادة... هكذا نلاحظ اليوم في الحرب الدائرة على قطاع غزة تحالفا إقليميا دوليا يصطف خلف الكيان الصهيوني ضد المقاومة، فبوابة رفح المصرية -رئة غزة الوحيدة على العالم- أحكم إغلاقها إمعانا في الحصار، وقد زاد العديد من المحللين السياسيين الصهاينة الأمر وضوحا بتأكيد أن "إسرائيل تضرب غزة بتنسيق مع الحكومة المصرية، وهناك مصلحة مشتركة لمصر وإسرائيل". لقد تقاربت المواقف، وباتت ملتزمة مع الموقف الصهيوني الغربي المعادي للمقاومة، ويعيد كل ذلك إلى الذاكرة نفس المشاهد المتكررة منذ الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، ويفتح ملف دور النظام العربي الداعم لذلك الكيان على عكس دور الشعوب وجهادها من أجل فلسطين منذ نشأة القضية... والحال أن هذا الملف متخم بمعلومات وحقائق كثيرة:

- في أبريل/نيسان 1920 تفجرت ثورة العرب الأولى في فلسطين بمعركة حامية بين الفلسطينيين من جانب واليهود والاحتلال البريطاني من جانب آخر سقط فيها 250 جريحا من الجانبين وتسعة قتلى من اليهود وأربعة شهداء من الفلسطينيين يمثلون في الذاكرة الفلسطينية طليعة الشهداء...

وقد تمكن اليهود والاحتلال البريطاني من إخماد تلك الثورة التي ما لبثت أن عاودت الاشتعال مرة أخرى في 20 أغسطس/آب 1929، وتواصلت حتى العام 1936، حيث سطر الشعب الفلسطيني أثناءها -بمساعدة الشعوب العربية- أروع صور البطولة والفداء وقدم العشرات من الشهداء، في مقدمتهم الشيخ عز الدين القسام والشيخ موسى كاظم الحسيني، وقدم عشرات المطرودين خارج فلسطين ومئات المعتقلين دون أن يفت ذلك في عضده...

ولم تلبث تلك الثورة أن تهدأ، حتى اشتعلت ثورة أشد وأقوى هي ثورة العرب الكبرى عام 1936 التي استمرت سبعة أشهر (من أبريل/نيسان، حتى أكتوبر/تشرين الأول) خاض الفلسطينيون فيها جهادا مسلحا ألقى الرعب في قلوب اليهود ومعهم الإمبراطورية البريطانية، ولم يوقف لهيب تلك الثورة إلا تدخل الزعماء العرب الذين ألقوا بثقلهم لإقناع الثوار بوقف ثورتهم ضامنين لهم تحقيق العدل وإقرار الحق الفلسطيني...

وقال الزعماء في رسالتهم إلى أهل فلسطين "ندعوكم إلى الإخلاء إلى السكينة حقنا للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها لتحقيق العدل". (كتاب محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص 186). وهكذا أطفئت الثورة بأيدي الحكومات العربية التي وثقت في الصديقة بريطانيا، واليوم يكرر معظم أقطاب النظام العربي نفس الدور بالضغط على المقاومة لنزع سلاحها وتجريدتها من قوتها سعيا لحماية الكيان الصهيوني!

- في حرب 1948 التي منيت فيها الجيوش العربية بالهزيمة تمكن المجهدون ومعهم بعض فصائل الجيوش العربية من حصار القدس وداخلها مائة ألف يهودي، وكاد هذا الحصار يحول الكفة لصالح الجيوش العربية، حيث "حال المحاصرون من جنود الجيش العربي وقوات المجاهد أحمد عبد العزيز من وصول الإمدادات والتموين إليها، فتسرب الجوع بعد العطش إلى تلك المدينة المكتظة والمهممة... وكان العالم كله يتوقع سقوط المدينة في يد العرب بين لحظة وأخرى، ولا سيما بعد أن فشلت مساعي مندوب الصليب الأحمر في إدخال المياه إلى القدس". (نفس المصدر السابق).

ووسط دوي المدافع... وبينما كانت برقيات الاستغاثة تغادر القدس إلى تل أبيب وإثر مظاهرات اليهود فيها طالبين السلم وإلقاء السلاح، تقدمت بريطانيا إلى مجلس الأمن تطلب وقف القتال أربعة أسابيع والتعهد بعدم إرسال محاربين ومواد حربية إلى فلسطين في هذه الفترة، وتطبيق مادة العقوبات العسكرية والاقتصادية على من يخالف الأمر... وفي 29 مايو/أيار 1948 وافق مجلس الأمن على هذا القرار وأعلنت الحكومة البريطانية أنها ستتوقف عن إرسال الأسلحة إلى الدول العربية المرتبطة معها في معاهدات، وهي مصر والأردن والعراق". (جهاد فلسطين خلال نصف قرن).

واجتمع مندوبو الدول العربية لبحث الموضوع، وبعد مناقشات طويلة وافقوا على قرار مجلس الأمن (الهدنة)، فكان ذلك بداية النصر

اليهود بعد إنقاذهم من هلاك محقق، وذلك بشهادة القنصل الأميركي في القدس في ذلك الوقت، إذ يقول بالنص "إن قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى هو وحده الذي خلّص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية". (نجم جديد في الشرق الأوسط - كنيث بلبيص 25).

بل إن الإرهابي مناحيم بيغين زعيم عصاة الأرغون زفافي ليومي -في ذلك الوقت- يتحدث عن تلك الواقعة صراحة في مذكراته قائلا: "تواردت الأنباء من جميع المدن والمستعمرات اليهودية بأن الشعب اليهودي أصابه الخوف، خصوصا أهل القدس الذين شهدوا فشل القوات اليهودية في فتح باب الواد وتموينهم، وكان الجيش العربي قد بدأ يقصف أحيانا بمدافعه الثقيلة فجعل الشعب اليهودي يقوم بالمظاهرات الصاخبة داعيا إلى إنهاء الحرب بأي ثمن، وعندما طلب إليّ بن غوريون الذهاب للقدس فوصلتها والشعب اليهودي فيها ثائر بطالب الخلاص، فأعلنت الأحكام العرفية، ومنعتُ التجول، ووضعت الشبان في الخطوط الأمامية للدفاع، ولكن لا سلاح ولا عتاد ولا غذاء ولا مال إلا قنابل الأعداء، وكانت الدوائر الصهيونية تعمل على إرسال رسول سلام إلى فلسطين وعقد هدنة مؤقتة تتلاشى معها الفضيحة الكبرى، وتمت الهدنة، فجئنا إلى يهود القدس بالطعام وبعض الماء، واستعدنا وجلبنا السلاح والعتاد والمتطوعين والمحاربين من الخارج" (جريدة الحياة).

ولا تعليق لنا إلا تعليق مؤرخ عربي كان يتولى موقعا قياديا في حرب فلسطين وهو يتحدث عن قبول الحكومات العربية لتلك الهدنة قائلا "ليس لي إلا أن أصفهما بالجريمة الكبرى، وهي أخف وصف يمكن أن توصف به موافقة الجامعة العربية على شروط الهدنة" (كارثة فلسطين ص203).

- ثم تجدد القتال مرة أخرى بعد انتهاء الهدنة في 9 يونيو/حزيران 1948، ولكن كان الميزان قد تغير، وحدثت الكارثة الكبرى، وانهزمت الجيوش العربية مجتمعة أمام العصابات الصهيونية

ولم يصمد في الميدان إلا مجاهدو الشعب الفلسطيني ومعهم مجاهدو الشعوب العربية من الإسلاميين وغيرهم من المواطنين الشرفاء الذين صمدوا وسطروا بطولات خارقة أفزعت العدو اليهودي والنظام الدولي، فكان الأمر من حكومة النقراشي باشا بسحب مجاهدي الإخوان المسلمين من ساحات الجهاد في فلسطين

عام 1948 إلى حيث ألقى بهم في غياهب السجون، ثم حل الجماعة تماما والبدء في خطة محكمة للقضاء عليها وحدث ما حدث وهو هو عين ما يجري اليوم في مصر بعد الانقلاب

منذ تلك الآونة والحركة الإسلامية تقف في القلب من الحركة الشعبية وتشارك في قيادة جهادها ضد العدو رغم حملات المطاردة والاعتقال والإعدام والحصار والمحاكمات العسكرية المتواصلة وفق خطة محددة المراحل تصب في كل الأحوال في خاتمة ضرب الحركة الشعبية المنطقة لتحرير فلسطين

ومنذ قيام الرئيس السادات بزيارة الكيان الصهيوني عام 1977 وكل القوى المعارضة للصلح مع العدو وفي مقدمتها الحركة الإسلامية تتعرض لحملة منظمة بغية تصفيتهم أو على الأقل شل حركتهم فهل هذه الحرب الشاملة والمتواصلة على الحركة الإسلامية والقوى المعارضة للصلح مع العدو تصب في خاتمة تحرير فلسطين أم التمكين لليهود منها؟

وعندما صُنعت السلطة الفلسطينية (1993) جاءت بمهمة واحدة -ثمنا لإيجادها وعربونا لبقائها- هي اقتلاع جذور الحركة الإسلامية

المجاهدة من فلسطين، وهو ما فشل فيه الصهاينة، وقد حاولت السلطة، لكنها فوجئت أن المطلوب منها هو اقتلاع الشعب

الفلسطيني نفسه وليس مجموعة أفراد فتوقفت، فكان عقابها الذي عايناه، حين قام شارون بحصار عرفات ثم القضاء عليه بعد اجتياح

شرس للضفة الغربية عام 2002، لكنه قوبل يومها بكثير من المفاجآت تجلت في مقاومة الشعب الفلسطيني

والملاحظ أن الحملات الحكومية لتصفية الحركة الشعبية المجاهدة تنطلق دائما تحت شعار "محاربة الإرهاب"، وهو نفس شعار العدو

الصهيوني في حروبه المتواصلة ضد أهلنا في فلسطين

وقد تناست الكثير من الأنظمة وهي تتحرك لوأد الحركة الشعبية، خاصة الإسلامية، أنها تُفقد الوطن واحدا من أهم مقومات صموده إذا

تهاوى يمكن أن تتهاوى معه مقومات وطنية كثيرة أمام مد المشروع الصهيوني